البعد الجهادي في القصص القرآني" عرض ودراسة"

م.د قحطان فيصل عبد الدليمي
07803431810@gmail.com
ديوان الوقف السني/ دائرة المؤسسات والمساجد

الملخص

تعد القصة القرآنية رافدا أساسيا من روافد الجهاد بكل صوره وألوانه، لما لها من أثر في غرس الروح الجهادية لدى المسلم، وبيان طبيعة الجهاد ومتطلباته.

وقد تعرضت هذه الدراسة لأهداف القصة القرآنية ومراميها، كما أسفرت عن بيان أبعاد القصة القرآنية المتنوعة.

كما بينت الدراسة مدى ثراء القصة القرآنية وشمولها وعطائها في رفد الشخصية المسلمة، والأمة جمعاء بما يحقق كيانها ويمدها بمصادر عزتها.

كما أظهرت الدراسة صورا أخرى للجهاد غير الجهاد بالسيف، حوتها القصة القرآنية بما يجعل المسلم أمام ميدان فسيح من ميادين الجهاد يأخذ منه بحسب إيمانه وهمته وشرف مقصده.

الكلمات المفتاحية:البعد الجهادي، القصص القرآني.

The jihadist dimension of Quranic stories "View and study"

Dr. Qahtan Faisal Abed al-Dulaimi
Sunni Waqf Office/ Deportment of Institutions and mosques

Abstract

The Quranic story is an essential tributary of jihad in all its forms and shapes, as it has an impact on the instillation of the jihadist spirit of the Muslim, and demonstrates the nature and requirements of jihad. This study has dealt with the aims and objectives of the Quranic story and resulted in a statement of the various dimensions of the Quranic story. The study has also revealed the richness of the Quranic story, its comprehensiveness and its providing to the Muslim personality and the entire nation in a way that achieves its entity and provides it with sources of pride. The study also showed other images of jihad other than jihad with a sword, the Quranic story of which makes Muslims in

front of a roomy field of jihad from which he can take according to his faith, determination and the honor of his goal.

المقدمة

الحمد لله معز المؤمنين ومذل الكافرين، والصلاة والسلام على نبينا محمد أول المجاهدين والمدافعين عن الدين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيُعد الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الاسلام، وهو من أعظم القربات والطاعات، لما فيه من إعزاز الدين والمسلمين، ونشر محاسن الإسلام، وقمع الكفر ودحض الظالمين، ثمّ إنَّ السمة الغالبة على مفهوم الجهاد هي القتال، فإذا أطلق الجهاد لا يذهب الذهن إلا إلى القتال سواء كان قتال الطلب أو جهاد الدفع، ولكن حقيقة الأمر أن حصر الجهاد حول مفهوم القتال تحجير لواسع، فالجهاد له صور عديدة كشف عنها القرآن الكريم، وخاصة في قصصه، كما أبانتها السنة المطهرة، وهذا التعدد ينسجم مع روح الشرع الذي يخاطب الناس بعلم وحكمة، حيث جعل الجهاد درجات ومحطات، فكلّ مسلم يمكنه أن يكون له نصيب من هذه الفضيلة – فضيلة الجهاد – .

وقد كان للقصة القرآنية دور كبير في بين مظاهر الجهاد بصوره وأشكاله، فلا تخلو قصة من قصص السالفين إلا وتجد فيها لونا من ألوان الجهاد، ونموذج معبر عن ذلك اللون.

وقد جاء هذا البحث ليسلط الضوء على الجهاد بكافة صوره، لتصحيح مفهوم، وإرشاد ساري، وليفتح آفاقا أمام المسلم في هذه الحياة التي أصبحت لا تطاق ولا يَقدر على مجاراتها مسلم مالم يكن له حض كبير من الجهاد والمجاهدة (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ) العنكبوت: ٦٩.

هدف البحث: هدفَ البحث إلى تحقيق جملة أمور من أهمها:

١.بيان مفهوم الجهاد بأبعاده وصوره كافة، وتصحيح مفهوم قاصر ترسخ عند كثير من المسلمين في عدِّ الجهاد لونا واحدا، وصورة لا يوجد لها مثيل.

٢.كما يهدف البحث الى إبراز أثر القصة القرآنية في بيان صور الجهاد، وكشف بُعدٍ مهمٍ من أبعادها المتعددة، ألا وهو البعد الجهادي، ودورها في تعميق فكرة الجهاد في عقيدة المسلم.

أهمية البحث: يمكن بيان أهمية البحث في جانبين:

١.الجانب المعرفي، وذلك بمعرفة معاني الجهاد ، وصوره، ومقاصده، ومراتبه حتى لا يقع المسلم في متاهات الأفكار غير المنضبطة، وخاصة في هذا الزمان الذي اختلطت فيه كثير من المفاهيم والتصورات حتى راح ضحية هذا الخلط واللبس نفوس وأموال وأوقات. فصار لزاما تزويد المسلم بسلاح المعرفة النابعة من الوحي المعصوم من كتاب أو سنة.

والمقصد دحض وردّ كلّ من يريد أن يقولب الاسلام ويلبسه ثوب القتل والدماء، ويذهب ببريق الحياة التي يريدها الاسلام.

٢.الجانب العملي أو التطبيقي، وذلك أنّ الحياة بكل تفاصيلها مبنية على الكدّ والمكابدة، والمغالبة، والشرع يريد من المسلم أن يكون قويا منيعا منتصرا على نفسه وهواه، ومنتصرا في ميدان الحياة، ومنتصرا في ساحات الوغى والصدام، فـ (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ)[1]، فالمسلم يناله حضه من الجهاد بحسب نيته وحاله ومكانه، وخير ما يغرس القيمة العملية للجهاد هو القصص القرآني .

الدراسات السابقة: تعددت الدراسات حول مفهوم الجهاد، وكل بحسب تخصصه راح يدرس هذا العبادة، منها الدراسة الموضوعية ومنها التحليلية إلى غير ذلك، وقد اطلعت على كثير من هذه الدراسات التي بحثت في موضوع الجهاد ومداده كتابا وسنّة قديما وحديثا، وفيما يلي بعضها:

١.آيات الجهاد في القرآن الكريم، دراسة تداولية، رسالة ماجستير– لغة عربية–، للطالب: مجدي محمد محمد عمارة، إشراف: د. عبد الكريم محمد حسن، جامعة طنطا، كلية الآداب، للعام: ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م. وهي دراسة تقع في (٤٠٧) صفحة، تحدث فيها الباحث عن مفهوم الجهاد وأنواعه، ومراحل تشريعه، وغاياته، وبعضا من آدابه وأحكامه، لكنه سلط الضوء على تحليل ألفاظ آيات الجهاد، وربطها بسورها، وهذا الأمر الأخير لا علاقة له بموضوعنا، وقد تفرد بحثنا في موضوعه وطرحه، والقضايا التي ناقشها.

٢.الجهاد في سبيل الله تعالى – مفهومه، وحُكْمه، ومراتبه، وضوابطه، وأنواعه، وأهدافه، وفضله، وأسباب النصر على الأعداء في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير –الرياض، (د.ط.ت). وهو كتاب مختصر كما صرّح بذلك مؤلفه في مقدمته، ولم يتجاوز(٩٣) صفحة، بين فيه الكاتب مفهوم الجهاد وحكمه ومراتبه وضوابطه وأنواعه وأدلة مشروعيته من الكتاب والسنة. ولم يتوسع الباحث في بيان النماذج القرآنية التي جاءت بها القصة القرآنية لرفد موضوع الجهاد، وتعميق فكرته في نفوس الأمة، وهذا ما سيناقشه بحثنا إن شاء الله.

٣.قصص القرآن الكريم، صدق حدث وسمو هدف، إرهاف حس وتهذيب نفس، فضل حسن عباس، دار النفائس –عمان–، ط/١٢، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م. وهو كتاب قيم في موضوعه، ذكر في المؤلف رحمه الله، مفهوم القصة القرآنية وأهدافها، وأغراضها، وناقش بعض إسهامات الكتّاب في ميدان القصة القرآنية، ثمّ عرض ما جاء في القرآن من قصص للأنبياء والسابقين عرضا شيقا ملتزما الدقة والعلمية وسهول العبارة، لكنّ موضوع الجهاد لم يكن موضوع دراسته، وهذا ما يعالجه بحثنا إن شاء الله.

مسوغات الدراسة:

[1] **صحيح مسلم**، كتاب الْقَدَرِ، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ، رقم الحديث/ ٢٦٦٤، ٤/ ٢٠٥٢.

أولا: لم أجد من بحث عن الجهاد من الزاوية التي بحثت موضوع الجهاد من خلالها، وهي القصة القرآنية، فالبحث هنا يدور مع القصة، والقصة هي مادة الموضوع.

ثانيا: وجدت أنّ بعض الدراسات تقصر موضوع الجهاد على القتال، وفي بيان أسسه وأحكامه، وأنواعه وشروطه، وأغلب الجوانب تناولا هو الجانب الفقهي، ومع أهميته وفضله، إلا أنّ الإسلام نوّع في مظاهر الجهاد وألوانه، ودرجاته، ومراتبه. وهذا ما سنتناوله كبعد مهم من أبعاد القصص القرآني.

ثالثا: جاء البحث ليعطي نموذجا على ثراء القرآن الكريم وديمومة عطاءه، فكل بحسب غايته ومقصده يجد الهداية والرشاد، وإذا كان الأصل أن نعطي المواضيع أهميتها بحسب ما أولاها وأعطاها القرآن الكريم، فسنجد أنَّ حديث القرآن عن الجهاد وما يتصل به قد بلغ مبلغا يستحق أن تناله العقول بالبحث والأيادي بالكتابة. سائلين الله الصدق في التوجه، والإخلاص في القول والعمل، وأن يكتب لنا نصيبا من الجهاد كبير.

هيكلية البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وقائمة بثبت المصادر والمراجع. وعلى النحو التالي:

المقدمة

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للعنوان

المبحث الثاني: القصة القرآنية أهدافها وأبعادها

المبحث الثالث: معالم الجهاد وصوره في القصص القرآني

الخاتمة

المصادر والمراجع

المبحث الأول

الإطار المفاهيمي للعنوان

المطلب الأول

مفهوم الجهاد واستعمالاته في القرآن الكريم

أولا: الجهاد لغة واصطلاحا:

١. **الجهاد لغة:** الجَهْد والجُهْد الطاقة، وقيل: الجَهْد المشقة والجُهْد الطاقة، والجهاد بكسر الجيم: "هو استفراغ الوسع والطاقة في محاربة العدو".[١] قال الراغب الأصفهاني: "الجهاد: هو استفراغ الوسع في مدافعة العدو[١]. وقيل هو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل[٢].

[١] **لسان العرب**، لبن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ، دار صادر - بيروت، ط/٢، - ١٤١٤ هـ، ١٣٣/٣-١٣٤، و**المصباح المنير في**

٢. **الجهاد اصطلاحا:** بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار المعاندين المحاربين، والمرتدّين، والبغاة ونحوهم؛ لإعلاء كلمة الله تعالى.[٣]

وحقيقة الجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع فى مدافعة العدو باليد أو اللسان أو ما طاق من شيء، قال ابن حجر: هو بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق، فأمّا مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين، ثم على العمل، بها ثم تعليمها، وأمّا مجاهدة الشيطان فعلى ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأمّا مجاهدة الكفار فتكون باليد والمال واللسان والقلب، وأمّا مجاهدة الفساق فتكون باليد، ثم اللسان، ثم القلب[٤]. وعلى هذا فيمكن القول بأنّ الجهاد له مفهومان أحدهما خاص، وهو ما يتعلق ببذل الوسع في قتال الكفار والبغاة والمرتدين وقطاع الطرق لإعلاء كلمة الله، ومفهوم عام، ويراد به بذل الجهد في مجاهدة ومقاومة الشر والفساد والانحراف، ومجاهدة النفس في استقامتها على دين الله تعالى، ومجاهدة الشيطان لدفع وسواسه، كل ذلك من الجهاد في سبيل الله.

وهناك ألفاظٌ أخرى قد تشترك مع الجهاد في بعض جزئيات المفهوم، وبينها عموم وخصوص، كـ (القتال، والحرب، والنفير)، ولسنا بصدد عرضها والتفريق بينها وبين الجهاد، فلهذا مظانه.

المطلب الثاني

المطلب الثاني

مفهوم القصة القرآنية

أولا: القصة لغة واصطلاحا:

١. **القصة لغة:** القَصّ هو فعل القاص إذا قصَّ القصص، ويقال: في رأسه قصّة أي جملة من الكلام ونحوه قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣]، أي: نبين لك أحسن البيان. ويقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[القصص: ١١]، أي تتبَّعي أثره، والقصّة: هي الخبر، وهو القصص، وقص عليّ خبره يقصه قصاً وقصصاً أورده، والقَصص: هي الخبر المقصوص بالفتح، والقِصص: بكسر القاف، جمع القصة التي تكتب، والقاص: هو الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنّه يتتبع معانيها وألفاظها[٥].

غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية – بيروت، ١١٢/١.

[١] **المفردات في غريب القرآن**، للراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط/١، - ١٤١٢ هـ / ٢٠٨.

[٢] **تاج العروس من جواهر القاموس**، للزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ،المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت- ط، ٣٢٩/٢.

[٣] **المفاهيم الصحيحة للجهاد في سبيل الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة**، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ص: ٥

[٤] ينظر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ، تحقيق: مكتب تحقيق دار الحرمين- القاهرة، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ط/١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ٦ / ٣ .

[٥] ينظر: **لسان العرب**، ابن منظور ،٧/ ٧٣، **وتاج العروس**، الزبيدي، ٩٨/١٨.

٢. **القصّة اصطلاحا:** عرفها ابن عاشور بأنّها: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها[١]. ويمكن القول بأنّ قصص القرآن: هي ما أخبر عنه القرآن الكريم، من أحوال الأمم السابقة، وشأن النبوات والحوادث والوقائع، ولها ما للقرآن من الصدق والحق والمقصد[٢].

ثانيا: القرآن لغة واصطلاحا:

١. **القرآن لغة:** مصدرٌ قَرَأَ، يَقْرَأُ، قراءةً، وقرآناً كالغُفران من غَفَر، وهو مرادف معنىً للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧- ١٨]، قراءته، ثم سُمِّي به الكتابُ المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر، و(قرأ) الشيءَ (قرءاناً): جَمَعه وضَمَّه، ومنه سُمِّي القرآنُ؛ لأنّه يجمع السورَ ويَضُمُّها. وهو مهموز، فلو حُذف همزه كان ذلك للتخفيف، وإذا دخلته «أل» بعد التسمية فإنما هي إشارة للأصل لا للتعريف به، وهو مشترَكٌ لفظيٌّ يُطلق حقيقةً على الكلِّ أو بعضه، كقولك: (يحرم قراءة القرآن على الجُنب) تقصد حرمة قراءته كلِّه أو بعضِه على السواء. وهو مشتق من قرأ، أو من القُرْء بمعنى الجمع - كما ذُكِر آنفًا - أو من القِرى بمعنى الضيافة، واشتقاقه من قرأ هو الأَوْلى. وهو المختار؛ استناداً إلى مورد اللغة، وقوانين الاشتقاق، والله أعلم.[٣]

٢. **القرآن اصطلاحا:** هو كلام الله عز وجل، الموحى به إلى محمد - ﷺ- باللفظ العربي، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المُعجِز بلفظه ومعناه، المكتوب في المصاحف، من أوّل الفاتحة إلى آخر سورة النّاس[٤] .

ولعل هذا التعريف هو أجمع ما قيل في بيان معنى القرآن، وهناك تعريفات أُخرى، أعرضنا عنها؛ كونها إمّا مقتصرة على بعض خصائصه، أو مسهبة في ذكر وتعديد أوصافه، فنكتفي بهذا التعريف الجامع المانع، ومن أراد الزيادة فعليه بمراجعة كتب علوم القرآن[٥].

استعمالات كلمة الجهاد في القرآن الكريم ودلالاتها

يمكن القول بأنّ الجهاد له مفهومان: عام وخاص، فالجهاد بمفهومه الخاص، هو القتال، ولا يكون إلا بين المسلمين والكفار والبغاة، والفسّاق، وبذل الوسع في ذلك، لمنع المشركين من العلو الأرض ، ونشر كلمة الله فيها وتكون كلمة الله هي العليا، وردع الباطل، واستتباب الأمن، ويشمل كما عند الفقهاء جهادان: جهاد الدفع، وجهاد الطلب[٦]، وكل هذا وفقا للضوابط الشرعية المنصوص عليها في كتب الفقه، والمستقاة من الوحي - الكتاب والسنة -. فإذا أطلق لفظ الجهاد يراد به القتال وما يرتبط به من لوازمه، أمّا المفهوم العام فهو أشمل وأوسع، فيراد به بذل الوسع في مجاهدة النفس والشيطان وجهاد العمل واللسان، فيشمل كل مجهود في طاعة الله تعالى، ولا شك أنّ الجهاد مراتب، أعلاها مجاهدة الكفار وبذل المهج في سبيل الله ودينه، ثم بقية المراتب،

---

[١] **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ،١/ ٦٤.

[٢] ينظر: **القصص القُرْآني في منظومه ومفهومه.** عبد الكريم الخطيب. بيروت، لبنان. (د. ت،٤٠.

[٣] ينظر، **المفردات في غريب القرآن**، للراغب، ٦٦٨، **وتاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي، ٣٦٣/١

[٤] ينظر: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، (المتوفى: ١٣٦٧هـ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط/٣، ٢١/١، و**الواضح في علوم القرآن**، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب،دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية - دمشق، ط/٢،، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م،١٥.

[٥] ينظر: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الزرقاني، ج١ص١٥، وما بعدها.

[٦] جهاد الطلب: هو أن يغزو المسلمون الكفار في بلادهم لدعوتهم إلى الله تعالى؛ فإن أبوا قبول الدعوة والإسلام، دعوا إلى دفع الجزية، فإن أبوا فالقتال. وجهاد الدفع: هو دفع الكفار عن دخول بلاد المسلمين. انظر: **موسوعة الفقه الإسلامي**، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط/١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ٥٦٢/١.

ولابد لكل مسلم أن يكون له نصيب من الجهاد باليد - السيف- أو بالمال، أو باللسان أو بالقلب.[١] يكبر أو يصغر، بحسب همته وطاقته.[٢]

ثمَّ الْجهاد ينْقَسِمُ أَقْسامًا ثلاثة: أَحدُها: الدُّعاءُ إِلَى اللَّه تَعالَى بِاللِّسان. وَالثَّانِي: الْجِهَادُ عند الْحَرْب بِالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ، والثَّالِث: الْجِهَادُ بِالْيَدِ فِي الطَّعْن وَالضَّرْب [٣].

وقد ورد الجهاد في القرآن الكريم بكل مشتقاته في تسعة وثلاثين موضعا[٤]، وجاء لفظ (الجهاد) في القرآن الكريم على عدة معان:

أولها: الجهاد بالسلاح- أي باليد-، وهو المعنى المشهور عند إطلاق الجهاد، ومنه قوله سبحانه: ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥]، وقد أشار النبي محمد - ﷺ- إلى فضيلة هذا اللون من الجهاد وعلوه، كما روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»[٥]

فالجهاد أن تجاهد أو تقاتل الكفار إذا لقيتهم ولا تغلل ولا تجبن، وهذا من أفضل ألوان الجهاد لقوله تعالى: ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥]،يعنى أن المدافعين عن الأرض والعرض بقوة السلاح أفضل بكثير من المتخاذلين والقاعدين في بيوتهم، مع أن الكل له نصيب من الإيمان.

وثانيها: الجهاد بمعنى القول، " جهاد الكلمة" قال تعالى:﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢]، يعني: جاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً، فَأَمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَن يُجاهد الْكُفَّار بالْقُرآن جهادًا كَبِيرًا، وهذِه السُّورةُ مكِّيَّة نَزَلَت بمَكَةَ، قَبْل أَن يهَاجر النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَبْل أَن يُؤْمر بِالْقتال، وَلَمْ يُؤْذَن لَه، وَإِنَّما كَان هذَا الْجِهَاد بِالْعِلْم والْقَلْب وَالْبَيَانِ وَالدَّعْوَةِ لَا بِالْقِتَالِ [٦]. ويدخل فيه الدعوة الى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. قال ابن تيمية في تنوع ضروب الجهاد: وَمِنْهُ مَا يَكُونُ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَالدَّعْوَةِ.[٧]

وثالثها: الجهاد بمعنى العمل، ومنه قوله سبحانه: " وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ " [العنكبوت:٦] يعني: ومن يعمل الخير، فإنّما يعمل لنفسه أي: له نفع ذلك[٨].

ويتحقق الجهاد أي جهاد الكفار بالنفس والمال، وقد أمر الله بهما، فقال تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة: ٤١]، وقد امتدح الله من تخلق

[١] ينظر: **زاد المعاد في هدي خير العباد،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط/٢٧ , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م ، ٣/٩-١٠.

[٢] ينظر: **آيات الجهاد في القرآن الكريم، دراسة دلالية،** رسالة ماجستير –لغة عربية، للطالب: مجدي محمد محمد عمارة، إشراف: د. عبد الكريم محمد حسن، جامعة طنطا، كلية الآداب، للعام: ١٤٤٠هـ -٢٠١٩م، /١٦.

[٣] **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية،** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ٨/ ٨٧.

[٤] ينظر: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،** محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط/٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص/ ٢٣٢-٢٣٣.

[٥] **صحيح البخاري،** كتاب الإيمان، بَابُ مَنْ قَالَ إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ العَمَلُ،١/ ١٤.

[٦] **منهاج السنة النبوية،** ابن تيمية، ٨/ ٨٦.

[٧] **منهاج السنة النبوية،** ابن تيمية، ٨/ ٨٦.

[٨] **تفسير القرآن العظيم،** ابن كثير، ٦/ ٢٣٨.

بهما، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

ويمكن القول بأنّ لفظ (الجهاد) مصطلح إسلامي صرفٌ، لا وجود له في لغات العالم الحية؛ وأنّ استعماله في هذه المعاني يكان يكون نادرا، فالمشهور عندهم أي العرب، هو القتال والحرب والغزو وغيرها، فالجهاد له دلالاته الإسلامية المحددة لغوية كانت أم وشرعية.

المبحث الثاني

القصة القرآنية أبعادها ومقاصدها

المطلب الأول

أبعاد القصة القرآنية

القصة القرآنية مادة ثرية بأبعادها ومجالاتها والقضايا التي تناقشها أو تعالجها، ومن أهم هذه الأبعاد:

أولا: البعد الإيماني والتعبدي، وهذا من أهم الأبعاد، إذ ناقشت القصة القرآنية موضوع الإيمان بكل جزئياته وحيثياته، كما في قصة إبراهيم - عليه السلام - مع قومه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٤ - ٧٩]، ومع قصته - عليه السلام - أيضا مع النمرود في إثبات قضية البعث قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فالقصة تعالج قضية الإيمان المتعلقة بالله تعالى، وتعالج أخص قضاياها وهي قضية البعث، فقد وظفت القصة القرآنية لهذا الغرض، والأمثلة كثيرة شاخصة في ثناياها، كما تعالج قضية الإيمان بالغيب، كالإيمان بالملائكة والجن، والجنة والنار، والحساب والميزان، إلى غير ذلك من أمور الغيب، كما تتضمن قصص السابقين وكل مالم نعلمه أو نشاهده، ولم نقف على أحداثه إلا بما أخبرنا به القرآن الكريم، فالتصديق بها وبما تضمنته من أخبار هو ذاته الإيمان بالغيب، وهو ملمح مهم عالجته القصة القرآنية، أمّا المجال التعبدي فالقصة القرآنية ليست بمعزل عن القرآن ككل، فهي كذلك يتعبد بتلاوتها في كل وقت، وهي كلها صدق وحق، كما القرآن ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، كما نبهت عن كثير من العبادات الأساسية كالصلاة مثلا، وقد جاء الحث عليها في قصة عيسى وإسماعيل - عليهما السلام- قال تعالى عن نبيه إسماعيل - عليه السلام -: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥]، وقال موصيا نبيه عيسى- عليه السلام- بالصلاة، ﴿ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١]، إلى غير ذلك من ألوان العبادات.

ثانيا: البعد التصويري الفني، وهذا البعد التصويري يكاد ينطبق على القصة القرآنية على اختلاف موضوعاتها ومجالاتها، فهو سمة بارزة من سمات عرضها، وهذا مقصد مراد، يضفي على القارئ أو السامع حالة شعورية تجعله كأنّه أمام قصة متجسدة يرى شخوصها ويحلل أحداثها، ويشاهد أجزاءها رأي العين، وهذا معين له على الإيمان، ودافع على التأثر بها، ومن أهم نماذج هذا البعد قصة نبي الله يوسف -عليه السلام - مع امرأة العزيز، حيث يصف لنا القرآن الكريم حالة امرأة العزيز بما يجعلنا أمام صورة حيّة لامرأة هائجة منطلقة وراء شهوتها بكل قوة، وهي تدبر أمر الفاحشة، وتحيك خيوطها خيطا خيطا، تبدأ بمحاولات الإغراء، على أمل في إشباع رغبتها، وتهدئة ثورتها، وبما يجعلها تفت من عزيمة يوسف -عليه السلام- على العفاف، فالقارئ أو السامع أمام شهوة عارمة ليس لها حجام، وأمام صبر ليس له مثيل، ويصف لنا القرآن الكريم حلقات مكيدتها حلقة حلقة وخطوة خطوة، من تهيئة وخلوة محكمة مقفلة، وهي في عنفوان إغرائها قائلة ليوسف – عليه السلام-: هيئت لك نفسي، ورميت بها تحت قدَمك، لكنّه الإيمان الذي يعصم الإنسان من الخطيئة، ولك أن تتخيل حالة النفور من الفاحشة والإقبال عليها في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴾ [يوسف: ٢٥]، فكلاهما يسابق صاحبه، هو يسابقها نفورا عن الفاحشة، وهي تسابقه للوقوع فيها، وكأنك تشاهد قوة وضعفا في مشهد واحد، ضعفا وشغفا تخطى كل التصورات جسدته امرأة العزيز، وقوة عجيبة يمتلكها يوسف - عليه السلام - مع أنّ له نفس سمات الشخصية الإنسانية التي عندها، لكنّه يقف أمام كل وسائل الإغراء وأساليب النفس الخبيثة، ليعلنها مدوية، ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]، وإليك النص القرآني الكاشف، وكأنك أمام صورة حية بكل ملامحها وتفاصيلها، قال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [يوسف: ٢٣ - ٢٥]، وأنت تقرأ أو تسمع هذه القصة لا يتصور الذهن إلا أنّه أمام قصة حقيقة، وحقيقة قرآنية تكشف خبايا النفس الإنسانية بكل صدق وحيادية، وواقعية،﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠]، خلاف القصص الفنية الخيالية أو شبه الخيالية بكل أحداثها وشخوصها وأمكنتها.

ثالثا: البعد التربوي، تحمل القصة القرآنية في ثناياها بعدا تربويا بكل ألوانه، تربية الفرد والجماعة، تربية الإنسان بشقيه الذكوري والأنثوي، وبكل مراحل حياته، فالقصة القرآنية تحتوي كل مضامين التربية والتهذيب والتزكية، وغرس القيم الحميدة والأخلاق الفاضلة، كالعفاف كما في قصة يوسف -عليه السلام- السالفة الذكر، وكقصة موسى -عليه السلام- مع بنات شيخ مدين، ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ ﴾ [القصص: ٢٥]، وكالصبر والرضا بقضاء الله وقدره، وهذا ما تمثله قصة نبي الله أيوب -عليه السلام- ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص: ٤٤]، ومن القيم الخلقية التي دعت إليها القصة القرآنية وتضمنتها قضية تطهير النفس من الشح والبخل والأنانية وحب الذات، ومعالجة النفس المُجبة للتعالي، كما في قصة قارون التي جسدتها سورة القصص بقوله تعالى:﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]،

إلى آخر الآيات، وكما في قصة قوم شعيب -عليه السلام- قال تعالى حاكيا على لسان نبي الله شعيب –عليه السلام-، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٧ - ١٨٣]، وهكذا تمضي القصة القرآنية تغرس القيم الفاضلة وتحارب الرذيلة، وتذمها وتبين مصير أصحابها وما جرى لهم، حثا على التخلق بكل فاضل من الأقوال والأفعال والأحوال والمواقف، وترك ونبذ كل ما يشين النفس ويدسّيها من خلق أو قول أو فعل أو حال أو موقف ذميم.

رابعا: البعد الدعوي، لا شك أنّ القصة القرآنية فيها ذخيرة لا تنضب في تزويد القارئ والسامع، وخاصة الدعاة منهم بأساليب ناجحة ووسائل ناجعة في الدعوة إلى الله تعالى، كيف لا وهي تقص علينا طرق دعوة الأنبياء لأقوامهم، ومناهجهم في الدعوة إلى الله، مما يدعونا إلى التأسي بهم قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[الأنعام: ٩٠]، ولك أن تعيش مع قصة نوح -عليه السلام- مع قومه وهو يتفنن في دعوتهم، ويتخير لهم الأساليب، وينوع فيها رجاء إيمانهم، وزاده الصبر واليقين والاجتهاد في ذلك، في ألف سنة إلا خمسين عاما، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]، ومن يقرآ سورة نوح -عليه السلام- يجد نفسه أمام خطة متكاملة للدعوة إلى الله عز وجل، ومن آياتها قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ٥ - ١٠]، ومن مشاهد القصّة وأبعادها الدعوية مشهد دعوة ابراهيم -عليه السلام- لقومه،﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٦]، إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾[العنكبوت: ٢٤]، وهكذا لا تمر على قصّة من قصص السابقين إلا وتجد دروسا دعوية، لا تنحصر في أسلوب واحد أو وسيلة مقيدة، حيث تختلف الطرق والاساليب بما يغني الداعية، ويزوده علميا ومعرفيا وحركيا ومنهجيا للدعوة إلى إصلاح النفس أولا، والمدعوين ثانيا[1].

خامسا: البعد القضائي، وهذا الجانب له ملامحة البارزة وتظهر في صور متعددة تظهرها لنا القصّة القرآنية، كما في قصّة داوود وسليمان عليهما السلام، حيث تكشف لنا قصته ملامح القضاء كما في قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]، وقصّة قضاء نبي الله داود -عليه السلام- مع المتخاصمين في النّعجة، ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا

[1] ينظر: **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص/ ٧.

تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢١ - ٢٤]، كما أنّ في محاكمة نبي الله يوسف -عليه السلام- يوجد ملمحا مهما من قضايا القضاء التي تصورها القصة القرآنية، وهناك ملامح أخرى من صور القضاء أعرضنا عنا خشية الإطالة.

سابعا: البعد المعرفي (العلمي – اللغوي)، تعد القصة القرآنية رافدا للمعرفة بشقيها العلمي واللغوي، فهي من جانب تزود القارئ أو السامع بعلوم شتى سواء بما يتعلق بالنفس الانسانية وخصائصها بصورة عامة، أو طبائع بعض الأقوام، و طريقة التعامل معهم في ضوء تعامل الأنبياء مع أقوامهم، كما تمد القارئ أو السامع بعلوم الأرض وأحوال الأماكن المتعلقة بالناس، وأخبار المؤمنين وأحوال الكافرين، ومن على شاكلتهم، وأصناف الناس، كما تعطي ميزة علمية بمعرفة أخبار الغيب، والمفيد أنّ كل خبر توحي به القصة القرآنية حق وصدق، فهي عطاء متجدد، لا ينفك عن أصل القرآن في عطائه، أمّا من حيث البعد اللغوي فلا ريب أنّ القصة القرآنية في أخبارها وما تضمنته في طريقة عرض موضوعاتها، وما استعملته من ألفاظ دارجة مشهورة أو غير ذلك، تعد مادة إثرائية لغوية للقارئ أو السامع، وخاصة إذا علمنا بأنّ مساحة القصة القرآنية تكاد تربوا على ربع القرآن الكريم، أي بما لا يقل عن ثمانية أجزاء من مجموع أجزاء القرآن الكريم الثلاثين[1]، بما يتيح للمتعرض لها اكتساب خبرة لغوية، وطرائق أسلوبية كثيرة، فالقصة القرآنية مع تكرارها لكنها في كل مرة تنفرد وتتجدد في عطائها من حيث العلم أو اللغة، فهي قصص ملهمة مثرية، ومادة علمية ولغوية كبيرة.

ثامنا: البعد العاطفي، يشكل البعد العاطفي مجالا فسيحا في القصة القرآنية، وذلك من خلال تناولها ومناقشتها ومعالجتها لقضايا العاطفة سلبا وإيجابا مدحا وذما، حيث كشفت القصة القرآنية عن موقف الشرع من العاطفة، وما هو دورها في التكوين الإنساني، وعوامل ضبطها وإدارتها بما يحقق التكامل في العلاقة بين الإنسان نفسه في جوانب تكوينه، وتكامله من خلال العلاقة بالآخر، وتوجيهها بما يحقق مقاصد وجودها، كما تناولت القصة القرآنية أنواع العواطف وأقسامها، فمنها الطبيعية المتجذرة في النفس فطرة وجبلّة، ومنها المكتسبة أو الثانوية، أي المرتبطة بالمصلحة والمكتسب، ومنها المركبة منهما[2]. كما تناولت أنواعا شتى من ألوان العاطفة ، كعاطفة الأمومة، كما في عاطفة أم موسى -عليه السلام- يوم أوحى إليها ربها بأن تُلقي ولدها في البحر خوفا عليه من سطوة فرعون وجنوده، قال تعالى حاكيا حالها، وكاشفا عن ثوران عاطفتها الحنونة، ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، إلى أن قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠]، ومنها عاطفة الأبوة، كما في قصة نوح -عليه السلام- مع ابنه العاق المصِر على النفور من الإيمان، فكان مع الكافرين المغرقين، حيث تجلت عاطفة الأبوة يوم أن قال تعالى حاكيا طلب نوح في شفاعته لابنه وفلذة كبده، ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن

[1] ينظر: **قصص القرآن الكريم**، فضل حسن عباس، دار النفائس – عمان-، ط/١٢، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص/١٢.

[2] ينظر: **العاطفة الانسانية في المنظور القرآني**" عرض ودراسة"، د. قحطان فيصل عبد الدليمي، مجلة الدراسات التربوية والعلمية -كلية التربية- الجامعة العراقية- العدد السابع، آذار ٢٠١٦، ص١٦ وما بعدها.

تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٥ - ٤٧]، وكما يظهر البعد العاطفي في عاطفة نبي الله يعقوب مع يوسف -عليهما السلام- وأولاده، ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ لأيوسف: ٨٤]، وكما عرضت القصة القرآنية عواطف منحرفة متفلتة، كعاطفة الأخوة يمثلها قابيل وهابيل، ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۗ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣٠]، ويمثلها أخوة يوسف -عليه السلام- القائلين: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ٩]، وكما في صورة العاطفة الجنسية الهائجة التي مثلتها امرأة العزيز في مراودتها ليوسف -عليه السلام- كما مر بنا آنفا[١]، وغيرها كالعواطف الدينية، والعواطف القبلية والعشائرية، فالصور العاطفية أكثر من أن تذكر أو تُحصى في هذه الجزئية من البحث الموجز، لكنّها إشارات ونماذج على احتضان القصة القرآنية للعاطفة الإنسانية.

ومن تعمق في دراسة القصة القرآنية يجد أنّ لها أبعادا أخرى، كالبعد السياسي، والبعد الاجتماعي والأسري، والبعد التأريخي، والبعد الأدبي والبلاغي، والبعد التشريعي...، وهذا ما يعطيها تأثيرا كبيرا في المتلقين على اختلاف ميولهم ومشاربهم وطبائعهم، فكلٌّ يجد فيها ما يشبع نهمة واهتمامه، وصدق الله تعالى إذ يقول في وصف قصص القرآن بأنّها أحسن القصص، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣].

المطلب الثاني

أهداف القصة القرآنية

لقد امتازت القصة القرآنية بسمو الهدف وشريف المقاصد، وعلو المرام، واشتملت على فصول في الأخلاق مما يهذب النفوس، ويجمّل الطباع، وينشر الحكمة والآداب، وطرق في التربية والتهذيب، وقد اتخذت في سبيل ذلك مسالك عدّة، كمسلك الحوار والاعتبار تارة، ومذهب التخويف والإنذار تارة أخرى، كما حوت القصة القرآنية جزءا ليس باليسير من تأريخ الرسل مع أقوامهم، والشعوب وأحوالهم، وبينت أحوال المهتدين وأحوال الضالين، بما يدعو الناس إلى العظة والتدبر، وكل هذا جاء بأسلوب حكيم، وقول بيّن[٢].

فالقصة القرآنية قصة هادفة، فهي ليست حلية للنص القرآني أو ترفا فنيّا أو تأريخا لمجرّد التاريخ أو سردا لمجرد التسلية والمتعة الفنية... وبما أنَّ مصدر القصة القرآنية هو مصدر القرآن نفسه، وهو الوحي الإلهي فالأهداف المتوخاة منها هي الأهداف ذاتها المتوخاة من أشكال التعبير الأخرى في القرآن الكريم.[٣]

[١] ينظر: **العاطفة الانسانية في المنظور القرآني"** عرض ودراسة" د. قحطان الدليمي، ١٦ وما بعدها.

[٢] ينظر: **قصص القرآن،** محمد أحمد جاد المولى، تحقيق عبد الدائم زيتوني، دار الإيمان،، ط/١/ ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ص/٢.

[٣] ينظر: **قصص القرآن الكريم،** فضل حسن عباس،/٤٣.

وليس الغرض من سوق القصة القرآنية كما يقول ابن عاشور مقصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص عناية بالمؤمنين، أو تشويها بالمجرمين فيما لقوه من غضب الله عليهم، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل، وإنّ في تلك القصص لعبرا جمّة وفوائد للأمة[١].

ويمكن إجمال أهم أهداف القصة القرآنية بما يلي[٢]:

١. الدعوة إلى التوحيد، وتثبيت أسس العقيدة الاسلامية وغرسها في النفوس، ومحاربة العقائد الضالة والتنفير منها، من خلال بيان وعرض دعوة الأنبياء إلى التوحيد ومحاربتهم للشرك بكل أشكاله، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

٢. إثبات عقيدة البعث خاصة، فقد تضمنت القصة القرآنية صورا كثيرة كان الغرض منها إثبات البعث بعد الموت، ومن ذلك قصة الرجل الذي مرّ على قرية وهي خاوية، متسائلا عن قدرة الله على إحيائها، حيث قصّ علينا القرآن الكريم خبره قائلا:﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٣. تثبيت قلب سيدنا محمد- ﷺ- والمؤمنين على دينهم، من خلال عرض معاناة الأنبياء السابقين وأتباعهم، وما يلقونه من أذىً وتعذيب نفسي وبدني من المشركين، وبيان عاقبة أهل الإيمان، وعاقبة أهل الكفر وأعوانهم، وبيان سنّة الله في نصر المؤمنين، وإهلاك الظالمين، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

٤. تعليم المسلمين فضائل الأخلاق عن طريق عرض القدوة العملية والحث على السير في دربها، والتنفير من القدوات السلبية، والتنفير من السير على خطاها، ويكون هذا بذكر النماذج الإيجابية والسلبية في القصص القرآني، فمثل القدوات الإيجابية، أيوب -عليه السلام- في صبره، ويوسف -عليه السلام- في عفته، ونوح في دعوته، وموسى في قوته وأمانته، وابنة شيخ مدين في حيائها، ومريم في تدينها، إلى غير ذلك من النماذج الإيجابية، والقدوات العملية، وذكر الشخصيات التي تتمثل الجانب السلبي، كقارون في اغتراره بماله، وفرعون في سطوته وتعاليه وكفره، وقوم لوط في تمسكهم برذائل الأفعال إلى غير ذلك من النماذج السيئة.

٥. تحريك العواطف والمشاعر عن طريق عرض صور أهل الأيمان وجزائهم عند ربهم، وصور أهل الشرك والفسق والضلال والنفاق وعاقبتهم، فتتعلق القلوب بالله خوفا ورجاء، ومن صور التأثير العاطفي إثارة الانفعال الباعث على الخشوع والخضوع والانقياد والحركة في سبيل الله تعالى، كما في قصة مؤمن آل ياسين، والمنفر من مسالك النفس ونزواتها، وخطوات الشيطان ونزغه، كما في قصة هابيل وقابيل ابنَي آدم –عليه السلام-..

---

[١] **ينظر:التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ،(ت: ١٣٩٣هـ، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤ هـ ،١/ ٦٤.

[٢] ينظر: **التحرير والتنوير**، لابن عاشور، ١،٦٥ وما بعدها، **وقصص القرآن الكريم**، فضل حسن عباس،/٤٤-٤٥، **والمستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، عبد الكريم زيدان، ٦ وما بعدها.

٦. بيان مصدر القرآن الكريم، فما تعرضه القصة القرآنية من أحداث، ومواقف لأقوام سابقين مع أنبيائهم، وأخبار للأمم سالفة، مما لا يتاح ذكره لأحد مالم يكن حاضرا شاهدا أو سامعا، وهذا ما لم يحصل له-ﷺ- فيما يُعلم من حاله، كما أنّها ليست من قبيل الأساطير التي يتناقلها القصّاصون، وإنّما هي أخبار غيب وصدق وحق، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[يوسف: ١١١].

وهذه أبرز الأهداف التي تتضمنها القصة القرآنية، وهناك أهدافا أخرى تفصيلية يقف عليها من تمعن في دراسة القصة القرآنية، نكتفي بما ذكرناه إجمالا.

المبحث الثاني

معالم الجهاد وصوره في القصص القرآني

تبين مما سبق أنّ الجهاد أقسام وأنواع ومراتب ودرجات، فأمّا أقسامه فجهاد منه فرض عين، ومنه فرض ومنه فرض كفاية، وأما أنواعه، فمنه جهاد الكفار المحاربين، دفعا أو طلبا، ومنه جهاد البغاة، ومنه جهاد المرتدين، ومنه جهاد الفساق وقطاع الطرق، أمّا مراتبه، فمنه ما يقع باليد، ومنه ما يقع باللسان، ومنه ما يقع بالقلب، ومنه ما يقع بالمال، ومنه ما يقع بغير ذلك، وكل بحسبه[١].

المطلب الأول

جهاد المقاتلة " بالسيف " وصوره في القصة القرآنية

مما هو معلوم أنّ الإسلام حث ورغب في الجهاد في سبيل الله، نقصد به قتال المشركين المعتدين المحاربين، ورتب على ذلك عظيم الأجر، فقال الله تعالى: "وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"[النساء :٧٤]، وفضل الله المجاهدين على القاعدين عنه فضلا كبيرا، فقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥ - ٩٦]، والناظر في حال أمتنا وما أصابها من وهن وتسلط الأعداء عليها وعلى مقدراتها، يشعر مدى حاجة الأمة إلى من يوقظ همتها وينزع عنها لباس الوهن إلى ما فيه عزها ونهضتها، ولن يكون هذا إلى بإعداد العدة، والتسلح بالقوة على أشكالها الإيمانية والنفسية والبدنية والعسكرية، وقد أمر الشرع بذلك قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والمسلم ينبغي ان يكون الجهاد حاضرا في مخيلته مستعدا نفسيا للذود عن دينه وأمته متى استوجب الأمر، قال رسول الله -ﷺ- : «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ» [٢]. وقد ضمن القرآن الكريم وخاصة في قصصه حيزا كبيرا ومساحة بارزة للجهاد، وصورا للجهاد بالسيف، وقتال الكفار، بما يعد نموذجا يحي في الأمة منابع عزتها، ويوقد فيها شعلة الأمل، ومن هذه الصور التي تعرض لها القصص القرآني قصة معركة بدر الكبرى.

وهي صورة من صور الجهاد بالسيف ومقارعة الأعداء، وهي التي قصّ علينا القرآن أخبارها وأحداثها وأحوال الفريقين من المؤمنين والكافرين، وقد أنزلت آيات كثيرة في كتاب ربنا عز

[١] ينظر: **الجهاد في سبيل الله تعالى**، للقحطاني، ١٢، ٢٩.

[٢] **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ ذَمِّ مَنْ مَاتَ، وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ، رقم الحديث/ ١٩١٠ ، ٣/ ١٥١٧.

وجل تتحدث عن هذه الغزوة، وفي سور متفرقة منه: كآل عمران، والأنفال، والحج، والدخان، وغيرها من السور.

ومن أكثر السور التي تحدثت عن غزوة بدر سورة الأنفال، حتى سميت عند البعض بسورة بدر، روى البخاري في صحيحه من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس - رضي الله عنهما -: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر[١]، وكان نزولها بعد موقعة بدر، وقد رسمت الخطة التفصيلية للقتال، ونبهت المؤمنين إلى نقاط ضعفهم ليتداركوها، وبينت ما يجب أن يكونوا عليه من البطولة والشجاعة، والجرأة، والصمود، وقد كانت هذه الغزوة هي الجولة الأولى من جولات الحق مع الباطل، لرد البغي والطغيان، وإنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين قعد بهم الضعف في مكة، فلم يستطيعوا الهجرة لبلد الأمن والإيمان، وقد استجاب الله ضراعتهم، فهيأ لهم ظروف تلك الغزوة، التي تم فيها النصر للمؤمنين على قلة في عددهم، وهكذا كانت غزوة بدر درساً لا ينسى، وعبرة لا تمحى، أمام التاريخ والأجيال في أنّ النصر من عند الله تعالى[٢].

وقد أشارت آية آل عمران إلى هذا اللقاء بقوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران: ١٣]، أي قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم " ءاية " ، أي دلالة على أنّ الله معز دينه، وناصر رسوله، ومظهر كلمته، ومعل أمره، (في فئتين)، أي طائفتين، (التقتا) أي للقتال، " فئة تقاتل في سبيل الله " وهم المسلمون، " وأخرى كافرة " وهم مشركو قريش يوم بدر"[٣]

كما صرحت الآيات بتفاصيل هذه المعركة، وكأنك قريب من أحداثها وتفاصيلها، توحي للقارئ أو السامع بضلالها ومشاهدها قال تعالى ممتنا على نبيه محمد - ﷺ-، وصحابته بنصره وتأييده، وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٦]، أي: يوم بدر، وكان في يوم جمعة، السابع عشر من شهر رمضان، من سنة اثنتين من الهجرة، وسمي بيوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك وخرب محله، وكان عدد المسلمين يومها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم فرَسان وسبعون بعيرا، والباقون مشاة، ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف مجهزين بالعدد والعدّة الكاملة والخيول المسوّمة فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيض وجه النبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، قال تعالى - ممتنا على عباده المؤمنين "ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة" أي: قليل عددكم ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العدد والعدد[٤].

وقد بُنيَ للنبي - ﷺ- حينها عريشا يتابع من خلاله أحداث المعركة، وبعد أن صفَّهم، وحرّضهم على القتال، رجع إلى العريش ومعه أبو بكر وسعد بن معاذ يحرسونه، واتجه رسول الله - ﷺ-

[١] **صحيح البخاري**، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ...الآية [الأنفال: ١ رقم الحديث/ ٤٦٤٥، ٦/ ٦١.

[٢] **نظرة عامة لما نزل في بدر من القرآن** مقال، د. أمين عبد الله الشقاوي، بتاريخ/ ٨- ٦ -٢٠١٤م. https://www.alukah.net/sharia/0/71872

[٣] **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ٢/ ١٧.

[٤] ينظر: **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ٢/ ١١١.

إلى ربّه مستغيثا به، يطلب المدد والنصر والتأييد[١]، وكان من دعائه كما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥][٢]. وقد قصّ علينا القرآن حاله واستغاثته ولجوءه إلى ربه بقوله تعالى: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ"[الانفال :٩].

وقد أبلغ الرسول- ﷺ- أصحابه ما بلغه يومها عن ربه، لتثبيت قلوبهم وأقدامهم، فهم بشر يحتاجون إلى العون في صورة قريبة من مشاعرهم وتصوراتهم ومألوفاتهم.. وأبلغهم كذلك شرط هذا المدد، وهو الصبر والتقوى،﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥][٣]. وقال تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾ [الأنفال: ٩ – ١٢].

معركة خاض غمارها المؤمنون، وهم مرتبطون بربهم، وكانت عناية الله حاضرة بالتأييد والنصر والإمداد والتثبيت للمؤمنين، وإدخال الرعب في قلوب الكافرين، حرب شاركت فيها الملائكة بالقتال والتثبيت " فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ"[الانفال:١٢] أي: اضربوا الهام ففلقوها، واحتزّوا الرقاب فاقطعوها، واقطعوا الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم[٤]. ومع أنّ النصر كان حليف المؤمنين والمخرجات كبيرة وكثيرة، إلا أنّها خلفت قتلى في صفوف المؤمنين، فقد قتل (١٤) رجلا من المسلمين، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وقتل من الجانب الآخر سبعون، وأُسر سبعون[٥].

فالآيات التي تحدثت عن بدر أولها امتنان من الله على المؤمنين بالنص "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ"[ال عمران:١٢٣]، وفي نهايتها إسناد النصر إليه تعالى، ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، فحظ المؤمن القيام بأسباب النصر، وتحقيقه من الله تعالى، وقد حرص القرآن الكريم على تقرير هذه القاعدة في التصور الإسلامي، وعلى تنقيتها من كل شائبة، وعلى تنحيه الأسباب الظاهرة والوسائل والأدوات عن أن تكون هي الفاعلة.. لتبقى الصلة المباشرة بين العبد والرب. وبمثل هذه التوجيهات المكررة استقرت هذه الحقيقة في أخلاد المسلمين على نحو بديع هادئ عميق مستنير. فالمؤمنون عرفوا أنّ الله هو الفاعل-وحده، وعرفوا أنّهم مأمورون من قبل الله بالأخذ بالأسباب، وبذل الجهد، والوفاء بالتكاليف، فاستيقنوا الحقيقة، وأطاعوا الأمر في توازن شعوري وحركي عجيب![٦].

[١] ينظر: **السيرة النبوية**، محمد بن محمد بن علي الصلابي، دار المعرفة، ط/٣، ٢٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م،ص/٤٠٨.
[٢] **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن الكريم، بَابُ قِصَّةِ غَزْوَةِ بَدْرٍ، رقم الحديث/ ٣٩٥٣ ، (٥/ ٧٣
[٣] ينظر: **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ١/ ٤٧٠.
[٤] **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ٤/ ٢٥.
[٥] ينظر: **السيرة النبوية**، الصلابي، ص/٤١٣.
[٦] **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ١/ ٤٧٠.

ثمّ قصّ علينا القرآن الكريم تبعات هذ المعركة حيث أسر المسلمون سبعين رجلا من المشركين، وقد خلّد القرآن الكريم في سورة الأنفال أحداث المعركة بكل تفاصيلها ونتائجها، وجاء فيها علاج النفس البشرية، وتربيتها على معاني الإيمان، وبينت السورة أثرا من آثار القتال وهو الغنائم والأسرى، أمّا الغنائم فقد جُعلت لله ولرسوله، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١]، وكان توزيعها على طريقة الحق تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٤١].

وأمّا قضيّة الأسرى، فبعد تشاوره - ﷺ- مع الصحابة الكرام، كان القرار النهائي أخذُ الفدية عنهم، فجاءت الآيات فيها رائحة العتاب على أخد الفداء، قال تعالى:﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]، وبهذا تجد أنّ القرآن الكريم يوظف القصة القرآنية لبيان لون من ألوان الجهاد كما في معركة بدر، يوثق أحداثها وأسبابها وآثارها ونتائجها، وفيها الملامح التربوية والإيمانية للفئة المؤمنة، وبيان أهمية الحفاظ على الدين وحماية المؤمنين من بطش المشركين، ولو كلّف ذلك ذهاب المهج، وقد بينت القصة القرآنية كل لوازم الجهاد، وملابساته كالدعوة إليه، وأحكام المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله، وبينت أحكام أصحاب الأعذار من المسلمين، وموقفهم من الجهاد في مواضع مختلفة وغزوات متعددة، بحيث يرى القارئ والسامع نفسه أمام مشاهد مختلفة في مواضع متعددة كلها تتعلق بالجهاد -القتال- وما يلزمه، وما يلحق به، في عرض يوحي بأهمية الجهاد -القتال- للدفاع عن الدين والعقيدة، والذود عن المسلمين ومقدساتهم.

المطلب الثاني

جهاد المال وصوره في القصص القرآني

حوت القصة القرآنية صورا عدة في الجهاد بالمال وإنفاقه، بل جعله تعالى قرين النفوس، فكما يجاهد بذهاب الأرواح يجاهد بإنفاق الأموال في سبيل الله، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الجهاد بالمال في كثير من المواضع، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ [التوبة: ١١١]، وقوله: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾بالتوبة: ٤١]، فقد جعلت الآيات إنفاق المال جزء من الجهاد بل لون من ألوانه، بل إنّ جهاد بالسيف قد يتوقف على الجهاد بالمال فهما متلازمان دائما، وقد ذكر الجهاد بالمال والنفس معا في عشرة مواضع، تقدم ذكر الجهاد بالمال على النفس في تسعة مواضع[1]، وما ذاك إلا لأهمية الجهاد بالمال لإقامة الجهاد بالسيف، قال الآلوسي:" ولعل تقديم الأموال على الأنفس لما أن المجاهدة بالأموال أكثر وقوعا وأتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس

[1] ينظر: **المعجم المفهرس**، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث –القاهرة- ط/٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٢٣٢-٢٣٣.

بلا مجاهدة بالمال، وقيل: ترتيب هذه المتعاطفات في الآية على حسب الوقوع... فالجهاد بالمال لنحو التأهب للحرب"[١].

فالجهاد بالمال هو عصب الحرب فبالمال يشترى السلاح والعتاد والمعدات، وينفق على الجند، ولذلك أعذر الله منه أي الجهاد بالسيف المرضى والضعفاء ومن لا يقدر على تجهيز حاله إن عجزت الدولة عن ذلك، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[التوبة: ٩١]، إلى أن قال: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢]، بالإضافة إلى ذلك فإنّ الجهاد بالمال فتح لطريق الخير أمام من لا يقدر على الجهاد بالنفس كالنساء وأصحاب العذر بمرض أو عاهة، وهو من باب مشاركة الخير والتعاون عليه، ولعل تجهيز جيش العسرة - تبوك- أكبر مثال على أهمية الجهاد بالمال، كونها كانت في زمان قلة المال الذي يجهز به الجيش وينفق عليه، لذا حث رسول الله أصحابه على الإنفاق في هذه الغزوة، فتنافس الصحابة في الإنفاق وضربوا أروع صور الجهاد بالمال كأبي بكر - رضي الله عنه- الذي تصدق بكل ماله، وعمر- رضي الله عنه- الذي تصدق بنصف ماله، وعثمان - رضي الله عنه- الذي كانت له حصة الأسد في الإنفاق حيث أنفق ألف دينار، وتصدق بمئة بعير في سبيل الله تعالى، فجعلوا مالهم في خدمة الدين، حتى أن فقراء المسلمين قدموا جهدهم على استحياء، فتعرضوا للمز والغمز من المنافقين، وسجّل القرآن هذه اللحظات بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩]، وجاء الأشعريون يتقدمهم أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه- يطلبون أن يحملهم على إبل ليتمكنوا من الجهاد، لكنه - ﷺ- لم يجد ما يحملهم عليه، فوصل بهم الحال إلى حدّ البكاء، مع أنّهم معذورون، قال تعالى: (تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ)[التوبة :٩٢] [٢]، فإنفاق المال للجهاد في سبيل الله وكل ما يلزمه ويحققه صورة مشرقة من صور الجهاد أظهرتها القصة القرآنية، ورتبت على ذلك خيرا كثيرا، قال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٨ - ٨٩]، فقوة المال لا تقل عن قوة السيف في ميادين المعركة.

المطلب الثالث

جهاد الكلمة وصوره في القصص القرآني

[١] **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(ت: ١٢٧٠هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/١، ١٤١٥هـ، ٥/ ٢٣٢.

[٢] ينظر: **السيرة النبوية** ، للصلابي، ص/٨١٠- ٨١٢-٧١٣.

إنّ لكلمة الحق في الإسلام مكانة رفيعة ومقام سام، وقد جعلها الشرع نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وإنّما صار قول كلمة الحق نوع من الجهاد لأنّ لكلمة الحق ضريبة كما للجهاد بالسيف، فقول كلمة الحق، لردع الباطل، وإنكار المنكر، ومناصرة الحق، والدفاع عن أهله، وقضايا الأمة والدين، قد تفقد الإنسان مكاسب عدة مادية ومعنوية، بل قد تفقده حياته، لأنّ أهل الباطل لا يرضون بالحق استكبارا من عند أنفسهم، واستعلاء على الحق، وكما أنّ الجهاد تضحية بأغلى ما يملك الإنسان -روحه- فقول كلمة الحق تضحية بكل المكتسبات الآنية، وهو انتصار على حظوظ النفس، وقد كان للأنبياء النصيب الأكبر من هذا الجهاد الذي أفقدهم ما يحبون من الديار والأهل، وعرضهم للقتل، وقد تعددت صور جهاد الكلمة، وتجلت من خلال القصة القرآنية، ولعل في قصة نبي الله إبراهيم -عليه السلام- في قول كلمة الحق وبيان الباطل الذي كان عليه قومه من الشرك وعبادة الأصنام، حتى كاد يفقده حياته، حيث أُمِر بأن يرمى به في النار، لأنّه نصح قومه، ودعاهم إلى التوحيد، وحذرهم من الشرك، وكسّر أصنامهم، فقرروا إلقاءه في النار انتصارا لآلهتهم واستكبارهم، قال تعالى، ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠]، وما هذا إلا ليعلم السائرون في طريق الأنبياء وموكب الحق أنّ قول كلمة الحق والصدع بها من أعظم الجهاد في سبيل الله[١].

كما أنّ من صور جهاد الكلمة مناصرة أهل الحق ومساندهم، وخير ما تتجلى به هذه الصورة قصّة مؤمن آل ياسين، وخلاصة قصته كما تصورها سورة يس، أنّ الله بعث نبيين إلى قرية من القرى، فكذبتهما، فشدّ الله أزرهما وأمرَ لهُما بنبيٍّ ثالث، فدعوا قومهم وأخبروهم أنّهم رسل الله، وأقاموا الحجة عليهم، فلم يجدوا منهم إلا الجفاء والغلظة والتكذيب، قال تعالى:﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [يس: ١٣ - ١٧]، ولم يكتف أهل القرية بالتكذيب بل زادوا عليه بالتطيُّر بالأنبياء وتهديدهم بالقتل قائلين: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يس: ١٨]، أي قالوا: إننا نتشاءم منكم ونتوقع الشر في دعوتكم ،فإن لم تنتهوا عنها فإننا لن نسكت عليكم، ولن ندعكم في دعوتكم: «لَنَرْجُمَنَّكُمْ، وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ» .. فردَّ عليهم أنبياؤهم: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس: ١٩]، أي قالوا لهم سبب شؤمكم من أفعالكم لا من قبلنا كما تزعمون، بل أنتم قوم ديدنكم الإسراف ومجاوزة الحد في الطغيان [٢].

وبينما هم على هذا الشاكلة ، تصف لنا القصة القرآنية نموذجا لجهاد الكلمة في أبهى صورة، وهي كلمة الحق في وجوه الظالمين، لكنّها كلمة الصدق والرحمة والحب، لا كلمة التباهي والتعالي، كلمة ملفوفة بحب الخير للغير، يمثلها مؤمن آل ياسين، وهو رجل قد آمن بدعوة الرسل، ولم يكن من أعيان ووجهاء القوم، يسكن في أطراف المدينة يدفعه إيمانه لأن يكون له

[١] ينظر: **قصص القرآن الكريم**، فضل حسن عباس، ٢٧٨، وما بعدها.
[٢] **تفسير المراغي**، ٢/ ١٥٢.

نصيب من الجهاد، معرضا نفسه للخطر، يدعوهم إلى الإيمان بدعوة الرسل، واتباعهم، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢٠ - ٢١]، معلنا إيمانه بالله، الذي فطره وإليه المعاد، متعجبا وموبخا لهم على اتخاذهم آلهة من دون الله، كما أنّ الخير منه، والشر بيده، فكيف لا أوحّده وأعبده، فإن أشركت معه إنّي إذا لمن الضّالين عن الحق، ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ٢١ - ٢٤]، ثمّ قالها مدويّة لقومه غير آبه بما سيقع منهم، أو قالها للرسل الكرام ليشهدوا له عند ربهم، ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ [يس: ٢٥]، وروى أنّه لما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يجد من يدافع عنه. [١] قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧]، ويوحي سياق القصة بعد ذلك أنّهم لم يمهلوه أن قتلوه... فهذا مقام الشهيد الذي جهر بكلمة الحق، متبعا صوت الفطرة، وقذف بها في وجوه من يملكون التهديد والتنكيل...[٢]

ونرى الرجل المؤمن، وقد اطلع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة، يذكر قومه طيب القلب رضي النفس، يتمنى لو يراه قومه ويرون ما آتاه ربه من الرضى والكرامة، ليعرفوا الحق، معرفة اليقين[٣]. وبها تكتمل صور الجهاد بالكلمة، ويتحقق القول بأن جهاد اللسان لا يقل شرفا وأثرا من جهاد السنان. إذ لكلٍ ضريبته، فإمّا إظهار الحق وانتصاره وإعلاء كلمة الله أو التضحية في سبيل ذلك.

فانتقم الله لأنبيائه ووليه المؤمن، وأهلك الكافرين، ولم يمهلهم كثيرا كما يوحي سياق القصة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ يس: ٢٨ - ٢٩﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس: ٢٨ – ٢٩].

وهناك صورا كثيرة حوتها القصة القرآنية، تظهر ميادين الجهاد بكلمة الحق في وجوه الظالمين المستبدين والمجرمين والكافرين كثيرة لا يسع المقام لذكرها، ولعل أوضح ما يجليها حديث النبي - ﷺ- في إجابته للسائل الذي يسأل عن أفضل الجهاد فقال له: (كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ جَائِرٍ)[٤]، ويجدر بنا القول أنّ دائرة الجهاد بالكلمة تتسع لتشمل كل ما فيه حفظ الدين والأخلاق، وبيان الحق، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولزوم الطاعة والصبر عليها، وترك المنكر والصبر عليه، ونشر العلم والدعوة إلى الله، ومنه تأليف الكتب النافعة التي تثبت القيم والدين والخلاق، فجهاد الكلمة ميدان فسيح لا يخلو مؤمن من قيام بصورة من صوره، أو شكل من أشكاله.

[١] ينظر: **تفسير المراغي**، ٢٢/ ١٥٤.
[٢] ينظر: **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ٥/ ٢٩٦٤.
[٣] **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ٥/ ٢٩٦٤.
[٤] **سنن ابن ماجه**، ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط/١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، رقم الحديث/ ٤٠١٢، ٥/ ١٤٥.

المطلب الرابع
جهاد النفس والشيطان وصوره في القصص القرآني

أولا: جهاد النفس: لا شك أنّ جهاد النفس شرط في صلاح الإنسان وفلاحه، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠]، وقد جاءت الآيات تدعو إلى مجاهدة النفس، وذلك لأنّ النفس البشرية لها نوازع للخير ونوازع للشر، تحتاج إلى ضبطها، وكبح جماحها، وترويضها لتستقيم على الطاعة، وهذين الأمرين لا يتحققان إلا بالمجاهدة، قال تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦]، أي {وَمَنْ جَاهَدَ} نفسه وشيطانه، وعدوه الكافر،{فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ}؛ لأنّ نفعه راجع إليه، وثمرته عائدة إليه، والله غني عن العالمين، وقد علم الله أنّ الأوامر والنواهي يحتاج المكلف فيها إلى مجاهدة، لأنّ نفسه تتثاقل بطبعها عن الخير، وشيطانه ينهاه عنه، وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه كما ينبغي، وكل هذه عوائق تحتاج إلى جهاد وسعي شديد[١].

ولأهمية مجاهدة النفس جعل العلماء جهادها والانتصار عليها في ميادين الحياة بداية الجهاد في ساحات الوغى، كما جعلوا جهاد النفس مقدما على جهاد العدو الخارجي وأساساً له، فمن يجاهد نفسه أولًا لتفعل ما أُمرت به، وتترك ما نهيت عنه، لا يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يستطيع جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له، متسلط عليه[٢].

قال الحسن البصري: إنّ الرجل ليجاهد، وما ضرب يوما من الدهر بسيف[٣].

وجهاد النفس ألوان وصور متعددة، وقد حوت القصة القرآنية نماذج طيبة تدعو إلى تزكية النفس بالطاعات، وترك المنكرات والمحرمات، إي فعل المأمورات وترك المحظورات، ولعل أوضح صور مجاهدة النفس كما تصورها القصة القرآنية تتجلى في قصة نبي الله يوسف -عليه السلام- في مجاهدة نفسه أمام إغراءات امرأة العزيز في فتنة لا يصمد أمامها إلا من أوتي حظا كبيرا من الإيمان والصبر على نوازع النفس البشرية، وقدر على إلجامها وقطع السبيل أمام هبوطها في وحل الرذيلة، وقد صورت لنا القصة صبره بما يجعله قدوة يرسم منهجا لمجاهدة النفس وقيادتها إلى ما يزكيها، وقد تمثلت بخطوات منهجية لمجاهدة النفس وهواها، كان أولها: اللجوء إلى الله تعالى، والاعتصام به واستحضار مراقبته أمام إغراء امرأة العزيز وحيلها الماكرة، ولك أن تتخيل طبيعة وأساليب الإغراء التي عفت الكلمة القرآنية عن ذكرها، والتي قامت بها سيدةُ عبدٍ من عبيدها، لكنّه آثر عبودية الله على عبوديتها، ملتجئا إليه تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]. وثانيها: الهروب من مكان الفاحشة، والبحث عن مخرج، قال تعالى:﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾[يوسف: ٢٥]. ثالثها: استهوان السجن على أن يقع في شراك نفسه، وإغواء سيدته ذات الشهوة الهائجة، قائلا: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣]. رابعها: الدعاء: فهو تاج الفرار إلى الله وعلامته، قال تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ

[١] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** = تفسير السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م ، ٦٢٦.

[٢] **أصول الدعوة وطرقها** ٤ - مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية عن المكتبة الشاملة، ٣١٧.

[٣] **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ٦/ ٢٦٤.

﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [يوسف: ٣٣ - ٣٤]، وقد أشارت القصة إلى مدى صبره وتجلُّدِه أمام كل مظاهر الفتنة ودواعي الوقوع في الفاحشة، صبر وثبات كثبات الجبال، كما صرحت بذلك امرأة العزيز يوم أن عادت إلى رشدها، بقولها " فاستعصم" ﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [يوسف: ٣٢]، فالقصة توحي بمظاهر المجاهدة أمام المراودة، مجاهدة للنفس وهواها تصدر من فتى في عز شبابه، أمام مراودة مستمرة بكل قوتها حيث السلطة والمال والجسم الفاتن والخلوة، إنّه الإيمان الذي تتحطم على صخرته كل أشكال الرذيلة ودواعي النفس الأمارة، وهكذا تمضي بنا القصة لتبين لنا صورة مشرقة من صور مجاهدة النفس وهواها، كنموذج للمقتدين من المؤمنين والمؤمنات، في حلة واقعية [١].

كما يكون جهاد النفس بمقاومة جهلها وانحرافاتها الفكرية والاعتقادية بالعلم والمعرفة، وبمقاومة شهواتها الجامحة وأخلاقها الجانحة بوسائل التربية الفضلى، كمقاومة الطمع فيها بالقناعة، وتحويل أطماعها إلى ما عند الله من أجر عظيم لأهل طاعته، وكمقاومة الحسد فيها بالرضى عن قسمة الله، وكمقاومة الشهوات الملحلة بالصبر، وأطماع النفس بما عند الله من أجر، وتغذيتها بما أحل الله والكف عما حرم، وكمقاومة الجبن والشح فيها وبوسائل الإقناع والترغيب التي تغذيها بأنّ الآجال والأرزاق محتومة، وتفتح أمامها أبواب الأمل والرجاء بما أعد الله لباذلي أنفسهم وأموالهم في سبيله من أجر عظيم وثواب جزيل، وقد كان السلف يسمّون جهاد النفس بالجهاد الأكبر[٢]. ومنه جهاد النفس الدائم حتى تستقيم وتثبت وتستمر على طاعة الله[٣].

ومن صور مجاهدة النفس: جهادها على تعلّم أمور الدين والهدى، وجهادها على العمل به بعد العلم به، وجهادها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، وأن يتحمل ذلك كله لله فمن عَلِمَ، وعَمِلَ، وصبر، فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السموات[٤].

فالصبر على الأذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها وهو من أخلاق الأنبياء والصالحين[٥]. فمن القصة القرآنية تعرف طبيعة النفس البشرية، أنواعها وأحوالها وتقلباتها، كما عرضت القصة القرآنية نماذج لمجاهدة النفس في كل ميادين الحياة، وفي جميع ألوان ميولها، بما يحقق تزكيتها وفلاحها.

ثانيا: جهاد الشيطان: وتتحقق مجاهدته بأمرين:

أولها: جهاده على دفع ما يلقيه من الشبهات والشكوك الخادشة في الإيمان.

ثانيها: جهاده على دفع ما يلقيه من الشهوات والنزغات[٦].

وقد حذر القرآن من نزغه، وأمر باتقاء شره، وبين خطواته وطرق إغوائه، كما بين نتائج اتباع خطواته، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾[فاطر: ٦]، أي إنّ الشيطان معلن عداوته لكم بوسوسته، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، ثم بين أعماله وكيده في دعوة أتباعه إلى الغواية والضلالة فقال: ﴿ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

[١] ينظر: **العاطفة الإنسانية في المنظور القرآني**، د. قحطان فيصل عبد الدليمي، ٣٤-٣٥.

[٢] **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير - الاستِشراق - الاستعمار ، دراسة وتحليل وتوجيه**،(ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى : ١٤٢٥هـ، دار القلم - دمشق، ط/٨ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٧٠٤.

[٣] ينظر: **أصول الدعوة**، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط/٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ٣٣٨.

[٤] ينظر: **الجهاد في سبيل الله تعالى**، للقحطاني، ١١.

[٥] **الجامع لأحكام القرآن** = تفسير القرطبي، ١/ ٣٧٢.

[٦] ينظر: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن القيم، ٩/٣.

[فاطر: ٦]، أي ما غرضه من دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى لذات الدنيا إلا إضلالهم والسير بهم إلى العذاب الدائم من حيث لا يشعرون[١].

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨]، أي ولا تتبعوا سيرته في الإغواء ووسوسته في الأمر بالسوء والفحشاء، فهو عدو لكم بين العداوة، إذ هو منشأ الخواطر الرديئة، والمحرّض على ارتكاب الجرائم والآثام قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾[الأنعام: ١١٢]، فهذا نهى عن اتباع وحي الباطل، لأنّه من إغواء الشيطان، فإذا عرض للإنسان داعي البذل لمعاونة بائس فقير، فهمّت نفسه بالعمل، ثمّ جاش في صدره خاطر الاقتصاد والتوفير، فليعلم أنّ هذا من وساوس الشيطان، ولا ينخدع لما يسوّله له من إرجاء هذا العطاء ووضعه في موضع أنفع، أو بذله لفقير أحوج. ثمّ بين كيفية عداوته وفنون شره وإفساده فقال:﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٩]، أي إنّما يوسوس الشيطان ويتسلط عليكم كأنّه آمر مطاع بأن تفعلوا ما يسوءكم في دنياكم وآخرتكم، وأن تجترحوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن[٢].

وفي قصة آدم عليه السلام، قصة الخلق الأول، أبرزت القصة القرآنية معالم هذا العداء، في سبعة سور(ص- الأعراف- طه- الإسراء –الحجر - الكهف –البقرة)، وذكرت أساليب الشيطان في الإغواء ووسائله، كما بينت آثار تصديق وسوسته وتزيينه للمعصية والباطل، ولعل فصول هذا العداء كالتالي: [٣].

أولا: حسد إبليس لآدم - عليه السلام- لما أمره ربه بالسجود له، وتكبره على أمر الله، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

ثانيا: تفضيل الشيطان لنفسه على آدم عليه السلام- وذلك بتعليل امتناعه عن السجود بقوله: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [الأعراف: ١٢].

ثالثا: نتيجة عصيان الشيطان لأمر ربه، هي الطرد من الجنّة، ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ [الحجر: ٣٤].

رابعا: الشيطان يطلب الإمهال ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴾ [الحجر: ٣٦ – ٣٨].

خامسا: تهديد الشيطان لآدم -عليه السلام- ولذريته قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩].

سادسا: تحذير الله لآدم - عليه السلام- من مكائد الشيطان، قال تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧].

[١] ينظر: **تفسير المراغي**، أحمد المراغي، ٢٢/ ١٠٨.
[٢] **تفسير المراغي**، أحمد المراغي،٢/ ٤٣.
[٣] **قصص القرآن الكريم**، فضل حسن عباس، ١٠٣ ، وما بعدها.

سابعا: بيان سبل الشيطان لإغواء آدم وذريته، ومنها: التزيين، ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [النحل: ٦٣]، ومنها الوسوسة قال تعالى: ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ [طه: ١٢٠]، ومنها التغرير، قال تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ ﴾بالأعراف: ٢٢].

ومن هنا وبعد أن أيقن المؤمن من خلال العرض التفصيلي لقصة آدم -عليه السلام- أصبح من الواجب على المسلم أن يعلن العداوة للشيطان، وأن يحذر من وسائله، وخبثه وتزيينه، وهذا يتطلب مجاهدة الشيطان في كل ميادين الحياة، لا سيما وقد جاء التحذير الرباني بقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فالقصة القرآنية بكل تفاصيلها وخاصة في مجاهدة الإنسان للشيطان، كشفت كل الأسئلة في ميدان المحاربة، ولم يبق للشيطان من سبيل غير معلوم، وبما لا يبقي مجالا للسقوط في شباكه ومكائده، وتبقى القصة القرآنية تمد المؤمن القارئ أو السامع بمادة الامتحان وأجوبتها بما يعد رافدا في التحصين والحماية، سائلين الله أن يدفع عنا كيد الشيطان، إنّه سميع مجيب.

الخاتمة

الحمد لله الذي منَّ علينا بإتمام ما بدأناه، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فبعد هذا التطواف المبارك في رحاب القرآن وما يتعلق به من علوم، أوضحت الدراسة أثر القصة القرآنية في إبراز الموضوعات المهمة التي تحتاجها الأمة في ميادين الحياة، سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو المجتمع أو الأمة، ومن بين أهم ما نختم به هذه الدراسة، ونتوصل إليه من نتائج ما يلي:

١. أنّ القصة القرآنية ذات أبعاد كثيرة، كل بعد يمكن من خلاله معالجة موضوع مهم من جوانب الحياة المختلفة، فالقصة القرآنية تحقق جملة من الأهداف والمقاصد الشرعية، فيما لو وظفت التوظيف الأمثل.

٢. تحتل قضية الجهاد مساحة كبيرة في القصص القرآني بما يضع المسلم من خلالها على المحجة البيضاء التي لا يزيغ من سار على نهجها، فالقرآن الكريم يعطي الموضوعات مساحة بقدر أهميتها، ولما كان الجهاد سنام الإسلام وبه قوام الأمة، أعطي هذا الاهتمام في رحاب القصة القرآنية .

٣. في ضوء القصة القرآنية يتضح للباحث والقارئ والسامع على حد سواء اتساع مفهوم الجهاد، وأنّه لا يقتصر على جهاد السيف وإن كان أشرفه، لكن هناك أبوابا أخرى، وصورا عديدة من صور الجهاد، والمسلم يدخل منها بحسب إيمانه وقدرته وهمته، وكل لا يخلو من نصيب من المجاهدة، بالسيف أو بالقلب أو باللسان ... .

٤. إن ما تحمله القصة القرآنية من معان ومقاصد وأهداف لا تنفك عن المقصد الكلي للقرآن الكريم لأنها جزء منه.

٥. كشفت القصة القرآنية من يستحق المجاهدة، وهم الكفار ومن على شاكلتهم، وجهاد النفس والشيطان، ويتحقق ذلك باليد السيف- واللسان، والمال.

٦. تعدد الصور التي تعالجها القصة القرآنية للبعد الواحد من أبعادها، بما يسهم في تحقيق أغراضها، وترسيخ مقاصدها وأهدافها في نفس المتلقين .

1. The Three Wings of Deceit and Their Fears: Evangelism - Orientalism - Colonialism, Study, Analysis and Guidance, (and a Comprehensive Methodological Study of Intellectual Invasion), Abdul Rahman bin Hassan Habanka Al-Maydani Al-Dimashqi (died: 1425 AH), Dar Al-Qalam - Damascus, 8th edition, 1420 AH - 2000 AD.
2. The Origins of the Call and Its Methods 4 - Al-Madinah University, Author: Al-Madinah International University Curricula, Stage: Bachelor's, Al-Madinah International University, from the Comprehensive Library.
3. Verses of Jihad in the Holy Quran, Semantic Study, Master's Thesis - Arabic Language, by the student: Magdy Muhammad Muhammad Amara, Supervisor: Dr. Abdul Karim Muhammad Hassan, Tanta University, Faculty of Arts, for the year: 1440 AH - 2019 AD.
4. Taj Al-Arous from the Jewels of the Dictionary, by Al-Zubaidi, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Hussaini, Abu Al-Fayd, nicknamed Murtada, Al-Zubaidi (d. 1205 AH), Investigator: A group of investigators, Dar Al-Hidayah, (no date - print.(
5. Al-Tahrir and Al-Tanwir "Liberating the Right Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book", Muhammad Al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad Al-Tahir bin Ashour Al-Tunisi (d. 1393 AH), Tunisian House for Publishing - Tunis, 1984 AH.
6. Al-Tahrir and Al-Tanwir, "Liberating the Right Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book", Muhammad Al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad Al-Tahir bin Ashour Al-Tunisi (d. 1393 AH), Tunisian House for Publishing - Tunis, 1984 AH.
7. Interpretation of the Great Qur'an, Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Kathir al-Qurashi al-Basri then al-Dimashqi (died: 774 AH), edited by: Muhammad Hussein Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Muhammad Ali Baydoun Publications - Beirut, 1st edition - 1419 AH.
8. Interpretation of al-Maraghi, Ahmad bin Mustafa al-Maraghi (d. 1371 AH), Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Library and Printing Company in Egypt, 1st edition, 1365 AH - 1946 AD.
9. Facilitating the Generous and Merciful in Interpreting the Words of the Generous = Interpretation of al-Sa'di, Abd al-Rahman bin Nasser bin Abdullah al-Sa'di (d. 1376 AH), edited by: Abd al-Rahman bin Mu'alla al-Luwaihaq, Al-Risalah Foundation, 1st edition, 1420 AH - 2000 AD.
10. The Compendium of the Authentic and Authentic Abridged Books on the Affairs of the Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, His Sunnah and His Days = Sahih Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Ja'fi, verified by: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasir, Dar Tawq Al-Najah (photocopied from Al-

Sultaniya with the addition of the numbering of Muhammad Fuad Abdul-Baqi), 1st edition, 1422 AH.
11. The Compendium of the Rulings of the Qur'an = Tafsir Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din Al-Qurtubi (d. 671 AH), verified by: Ahmad Al-Bardouni and Ibrahim Atfeesh, Dar Al-Kutub Al-Masryia - Cairo, 2nd edition, 1384 AH - 1964 AD.
12. Jihad in the Way of Allah Almighty - Its Concept, Ruling, Levels, Controls, Types, Objectives, Merits, and Reasons for Victory over Enemies in Light of the Book and Sunnah, Dr. Saeed bin Ali bin Wahf Al-Qahtani, Safir Press - Riyadh, (n.d.(.
13. The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Noble Qur'an and the Seven Mathani, Al-Alusi, Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah Al-Hussaini Al-Alusi (d. 1270 AH), edited by: Ali Abdul Bari Attia, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut, 1st ed., 1415 AH.
14. Zad Al-Ma'ad in the Guidance of the Best of Servants, Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad Shams Al-Din Ibn Qayyim Al-Jawziyyah (d. 751 AH), Al-Risala Foundation, Beirut - Al-Manar Islamic Library, Kuwait, 27th ed., 1415 AH / 1994 AD.
15. Sunan Ibn Majah, Ibn Majah - and Majah is the name of his father Yazid - Abu Abdullah Muhammad ibn Yazid al-Qazwini (d. 273 AH), verified by: Shuaib al-Arna'ut - Adel Murshid - Muhammad Kamil Qara Balli - Abdul Latif Harz Allah, Dar al-Risalah al-Alamiyah, 1st ed., 1430 AH - 2009 AD.
16. The Biography of the Prophet Muhammad ibn Muhammad ibn Ali al-Sallabi, Dar al-Ma'rifah, 3rd ed., 2426 AH - 2005 AD.
17. Human Emotion in the Qur'anic Perspective "Presentation and Study", Dr. Qahtaan Faisal Abdul-Dulaimi, Journal of Educational and Scientific Studies - College of Education - University of Iraq - Issue No. 7, March 2016.
18. Fath Al-Bari, Explanation of Sahih Al-Bukhari, by Ibn Hajar, Zain Al-Din Abdul-Rahman bin Ahmed bin Rajab bin Al-Hassan, Al-Salami, Al-Baghdadi, then Al-Dimashqi, Al-Hanbali (d. 795 AH), Investigation: Dar Al-Haramain Investigation Office - Cairo, Library of the Historical Strangers - Medina, 1st edition, 1417 AH - 1996 AD.
19. In the Shade of the Qur'an, Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al-Sharabi (d. 1385 AH), Dar Al-Shorouk - Beirut - Cairo, 17th edition, - 1412 AH.
20. Stories of the Prophets, by Abu Al-Fida Ismail Ibn Kathir, Investigation by Sheikh Qasim Al-Shamai Al-Rifai, Dar Al-Arqam bin Al-Arqam, (n.d.(.
21. Stories of the Holy Quran, Truth of Event and Nobility of Goal, Sensitivity and Refinement of Soul, Fadl Hassan Abbas, Dar Al-Nafayes - Amman -, 12th edition, 1430 AH - 2009 AD.

22. Stories of the Quran, Muhammad Ahmad Jad Al-Mawla, edited by Abdul Daim Zaytouni, Dar Al-Iman, 1st edition, 1409 AH - 1988 AD.
23. Stories of the Quran in its System and Concept, Abdul Karim Al-Khatib. Beirut, Lebanon, (n.d.(.
24. Lisan Al-Arab, Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifi Al-Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sadir - Beirut, 2nd edition, - 1414 AH.
25. Benefit from Stories of the Quran for Preaching and Preachers, Abdul Karim Zaydan, Al-Risala Foundation, 1st edition, 1419 AH - 1998 AD.
26. The Authentic, Concise Musnad, Transmitted by the Just from the Just to the Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, called: Sahih Muslim, Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Naysaburi (d. 261 AH), Edited by: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut, (n.d.t.(.
27. Al-Misbah Al-Munir fi Gharib Al-Sharh Al-Kabir, Ahmad bin Muhammad bin Ali Al-Fayyumi then Al-Hamawi, Abu Al-Abbas (d. circa 770 AH), Al-Maktaba Al-Ilmiyyah - Beirut, (n.d.t.(.
28. The Indexed Dictionary of the Words of the Holy Quran, Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Dar Al-Hadith, Cairo, 2nd ed., 1408 AH - 1988 AD.
29. The Correct Concepts of Jihad in the Path of Allah in Light of the Book and the Sunnah, Dr. Saeed bin Ali bin Wahf Al-Qahtani, Safir Press, Riyadh, Distribution: Al-Jeraisy Foundation for Distribution and Advertising, Riyadh.
30. The Vocabulary in the Strange Words of the Qur'an, by Al-Raghib, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, known as Al-Raghib Al-Isfahani (died: 502 AH), Researcher: Safwan Adnan Al-Dawudi, Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya - Damascus Beirut, 1st ed., - 1412 AH.
31. Manahil Al-Irfan in the Sciences of the Qur'an, by Muhammad Abdul-Azim Al-Zarqani, (died: 1367 AH), Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners Press, 3rd ed., (no date).
32. The Methodology of the Prophetic Sunnah in Refuting the Words of the Qadari Shiites, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Abd Allah ibn Abi al-Qasim ibn Muhammad ibn Taymiyyah al-Harrani al-Hanbali al-Dimashqi (d. 728 AH), edited by: Muhammad Rashad Salim, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, 1st ed., 1406 AH - 1986 AD.
33. Encyclopedia of Islamic Jurisprudence, Muhammad ibn Ibrahim ibn Abdullah al-Tuwaijri, International House of Ideas, 1st ed., 1430 AH - 2009 AD.
34. An Overview of What Was Revealed in Badr in the Qur'an, an article by Dr. Amin Abdullah al-Shaqawi, dated 6/8/2014 AD. https://www.alukah.net/sharia/0/71872

35. The Clear in the Sciences of the Qur’an, Mustafa Deeb Al-Bugha, Muhyi Al-Din Deeb, Dar Al-Kalim Al-Tayeb - Dar Al-Ulum Al-Insaniyah - Damascus, 2nd edition, 1418 AH - 1998 AD.